

## فالتير بنيامين وتجربة الترجمة.

### د. مصطفى بلبولة

#### جامعة الشلف

فقد تناولته دريدا، وريكور وغادامير بالدراسة والتعليق، ولكن يبدو أن تعليق أنطوان برمان عليه في كتابه (l'âge de la traduction) يكتسي أهمية بالغة، حيث يتساءل عن حقيقة هذه المقدمة والغرض منها، فإذا كان "مهمة المترجم" مقدمة لعمل بودلير، فلماذا لم يشر فالتير بنيامين إليها من حيث هي كذلك؟ وإنما تحدث فيها عن الترجمة عموماً، على خلاف ما جرت عليه العادة في مقدمات الترجمات، حيث تُتناول فيها الترجمة المقدم لها. ويرى برمان أن ذلك « يدل على إرادة بنيامين [ لإنتاج نمط آخر من الخطاب في الترجمة »<sup>(3)</sup>.

غير أن أنطوان برمان يلاحظ أن ثمة فجوة حقيقية غير مفهومة بين خطاب بنيامين في الترجمة من خلال تلك المقدمة وبين ممارسته للترجمة، معتبراً هذا الوضع مفارقة. ولكنها مفارقة مزدوجة، حيث إن المظهر الأول لها هو أن هذه المقدمة لم تكن متعلقة بالعمل المترجم (بودلير) على وجه التحديد كما جرت العادة، بل كانت خطاباً عاماً في الترجمة دون وجود إحالة إلى نماذج معينة، أما المظهر الثاني للمفارقة، فيكمن في العنوان نفسه "مهمة المترجم"، إذ إن محتوى هذه المقدمة « قليلاً ما كان موضوعه المترجم، بل الترجمة. فحيثما ورد لفظ "المترجم" جاز لنا أن نضع محله لفظ "الترجمة" »<sup>(4)</sup>، وهو أمر يضع من خلاله أنطوان برمان يده على الإشكالية

يعتبر فالتير بنيامين معلماً محورياً في الترجمة، فهو ليس منظراً فحسب بل مارس الترجمة كتجربة عملية كذلك. وقد كتب مقالته "مهمة المترجم" (1921) كمدخل لترجمته لـ"اللوحات الباريسية" للشاعر الفرنسي بودلير. وعرض فيه تصوره للغة وللأدب. كما وضع مجموعة من المعايير للمترجم في كتابه (l'auberge du lointain)، ولكن يبدو أنه ابتعد عنها في ممارسته للترجمة، مما يعني أن هناك مسافة فاصلة بين التنظير والممارسة. وترجم أيضاً مقاطع من "أزهار الشر" كما ترجم لبروست "بحثاً عن الزمن المفقود". ولكنه لم يكن مترجماً كبيراً، وترجمته لبودلير بدت له ولغيره فاشلة كما يذهب إلى ذلك أنطوان برمان<sup>(1)</sup>.

إن "مهمة المترجم" لم يكن مقدمة لترجمة "اللوحات الباريسية" فقط، بل تضمن المبادئ العامة والأفكار الأساسية لكل ترجماته. وليس هذا الكتاب مقالة في علم الترجمة بقدر ما هو جزء من فلسفة اللغة عنده.

إن وضع "مهمة المترجم" كمقدمة لترجمة "اللوحات الباريسية" يعني « أن الرغبة في الكتابة عن الترجمة لم تظهر لديه كإرادة في إنتاج نسق لتحليل الوقائع اللغوية، بل يتعلق الأمر بوضع تجربته في ممارسة الترجمة موضع تأمل »<sup>(2)</sup>.

وقد شكل "مهمة المترجم" موضوعاً لعدة دراسات وتعليقات، وهو مرجع أساسي في نظرية الترجمة.

التي يفرزها هذا الفارق بين تجربة الترجمة كممارسة وبين التفكير في الترجمة كتنظير.

ولكن ما معنى أن يكون بنيامين قد قصد ذلك كما يعتقد برمان؟ فإذا كان بنيامين يترجم لبودلير ويتحدث عن الترجمة عموماً في هذه المقدمة، ويكون العنوان "مهمة المترجم" وهو يتحدث عن الترجمة، فذلك يعني - حسب برمان - أن بنيامين ينطلق من تعريف الترجمة باعتبارها « نقلاً شفافاً للمعنى »<sup>(5)</sup>، ولكن هذه الشفافية لا تتحقق إلا باختفاء "الذات" المترجمة من الترجمة، لأن حضور المترجم في الترجمة يفقدها "وفاءها" للأصل.

لكن إذا كان هذا التعريف يستلزم غياب المترجم بشكل إرادي، فإنه يقتضي أيضاً ألا تبدو الترجمة ترجمة. إلا أن هذا الوضع الذي تغيب فيه الذات وتنمحي فيه الترجمة كترجمة غير قابل للتحقق، لأن من مقتضيات الترجمة « أن تكون ترجمة لا أصلاً، وأن تكون عملاً أنجزته ذات ما »<sup>(6)</sup>.

إن خطاب الترجمة في بنيته التقليدية، وهو ينطلق من مقدمات وتعريفات، ليس شيئاً أكثر من كونه قواعد إجرائية، وإذا لم تكن الترجمة من هذا المنظور سوى نقل للمعنى، فإنه يكفي أن تُعرَفَ « كيفية » ذلك حتى تتحقق. ومن هنا يكون خطاب الترجمة نفسه منهجاً. وإذا كان ذلك كذلك، فغياب الذات من الترجمة من مستلزمات هذا الإجراء.

ولكن كل خطاب في المنهج لا بد أن يكون منسجماً مع موضوعه، فهذا لا يتحقق إلا إذا اعتمدنا التعريف السابق للترجمة باعتبارها نقلاً للمعنى، وإذا لم يعد الخطاب منهجاً، فإن هناك مسافة فاصلة ستظهر بين الممارسة والتنظير في الترجمة، أعني أن ثمة توتراً سيطبع العلاقة بين خطاب

الترجمة وبين الترجمة، وهو على وجه التحديد الأمر الذي يظهر جلياً في "مهمة المترجم".

ويندرج نص ولتير بنيامين "مهمة المترجم" ضمن التقليد الهرمينوطيقي الذي غذته تعاليم الرومانسية مع شليغل وهمبولدت وغوته حيث يذهب جميعهم إلى أن كل ترجمة لا بد أن تستند إلى قدر من الشعرية والهيرمينوطيقا. ولهذا فإن نظرتهم إلى الترجمة تبدو في اتجاه معاكس للتيار التقليدي، حيث إن وظيفتها ليست في إيجاد مقابل للتعبير عن التجارب اليومية، بل هي نقل الصيغ الشعرية والقيم الجمالية من لغة إلى أخرى.

إن صعوبة الترجمة تزداد حدة عندما يتعلق الأمر بالأعمال الكبرى في مجال الشعر والفلسفة والعلوم الإنسانية بشكل عام، لأن ذلك يطرح مشكلات كبيرة متعلقة بالفهم، حيث إن كل لغة « رواسب غير قابلة للترجمة يعجز كل مترجم، مهما كانت مهارته، عن التغلب عليها. والأسوأ من هذا أن الأمر لا يتعلق بجانب غير قابل للترجمة قد يكون هامشياً وثانوياً، بل إن الأهم - بالنسبة إلى الشاعر - هو ما يستعصي على الترجمة، وهو على وجه التحديد كل البعد الشعري للغة »<sup>(7)</sup>، وبالتالي فإن الترجمة الحقيقية ضرب من الفهم، يكون موضوعه لغتين مختلفتين موضوعتين جنباً إلى جنب. إنها ضرب من الهرمينوطيقا تختلف عنها في الدرجة فحسب.

وفي المقدمة التي وضعها "همبولدت" لترجمته لـ "أجاممنون" لأشيل، يؤكد على أن القصيدة الشعرية غير قابلة للترجمة، وليس ذلك راجعاً لبعض الإشراقات العبقرية التي يمكن أن تحتويها، وإنما لاختلاف اللغات والترابط الداخلي الموجود بين الكلمة والتصور في كل لغة. إن الترجمة تقحم اللغة والثقافة والأمة في دائرة واحدة، لأن في ذلك

زيادة في قدرة اللغة، وبالتالي قدرة الثقافة والأمة، على الدلالة والتعبير<sup>(8)</sup>.

ويترتب على هذا أن دقة الترجمة تكمن في احترامها لذلك الغموض الذي يكتنف النص الأصلي وعدم الاشتغال بتوضيح المجاز والاستعارة، لأن كل ذلك من المقومات الأصلية التي تضمن للنص أصالته وتميزه، فليس من مستلزمات الترجمة « أن ما كان هائلا وغير مألوف في اللغة الأصلية يجب أن يكون مدركا على الفور في الترجمة »<sup>(9)</sup>.

غير أن بنيامين يذهب إلى أن هناك تقاربا داخليا بين اللغات، والمؤشر على وجود هذه العلاقة الداخلية هو قابلية الترجمة التي تستجيب لها النصوص. وهذه العلاقة هي ما يسميه "باللغة الصرف". ومفهوم اللغة الصرف يعني عنده الاكتمال المشترك للغات القائم على تنوعها غير القابل للاختزال، ويكون المسك باللغة الصرف هو المقصد الأساسي للترجمة.

إن اللغة الصرف تتشكل من شذرات لغوية هي اللغات الطبيعية، ويشبه لنا بنيامين هذه الصورة بصورة مزهرية انكسرت، فتكون كل شظية منها مخالفة للأخرى، ولكنها تستطيع، عند تجميعها، أن تعطي صورة أوسع.

فاللغة ليست نسقا مغلقا، بل إن كل لغة هي شذرة لا تستطيع اكتساب دلالتها بمفردها. فالدلالة الحقيقية، أي اللغة الصرف، لا تتحقق إلا باجتماع شذرتين من اللغات الطبيعية، وهنا يبرز الدور الحقيقي للترجمة وتحدد غايتها، وهي إظهار هذه اللغة الصرف. وإذا كان ذلك كذلك، فليس العمل الأصلي سوى ذريعة لتحقيق الخلاص بالنسبة إلى اللغة الصرف. ونجد في هذا الطرح

إعطاء أهمية قصوى للغة، وقد يكون ذلك أحيانا على حساب العمل الأدبي والخطاب.

ولا ينظر بنيامين إلى التنوع اللغوي باعتباره سلبيا أو عائقا، ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى تجاوزه بإنشاء لغة كونية. بل إن هذا التنوع ضروري لوجود تلك اللغة الصرف، لأن هذه الأخيرة تتكون من "المسكوت عنه" أو "المراد قوله" في هذه اللغات. وإذا كان هناك من يرى في تنوع اللغات عيبا أو عائقا، فإن بنيامين يرى فيه فضاء لحياة اللغة الصرف. وهنا يبرز الدور المنوط بالترجمة الذي هو في الحقيقة رهان، حيث يجب أن تعمل على التخلص من البحث عن المعنى لتضع يدها على ما من شأنه أن يكون موضع استقبال وتلق "إسطيطيقي". يقول ولتير بنيامين في هذا المعنى « مثلما أن شظايا مزهرية يجب أن تتوافق في أدق تفاصيلها، دون أن تكون متشابهة، من أجل إعادة تشكيل الكل، فكذا الترجمة، عوضا عن أن تحاكي الأصل في المعنى، يجب عليها بالأحرى، ... أن تتبني في لغتها الخاصة قصدية الأصل، حتى يُتعرّف عليهما باعتبارهما شذرتين لمزهرية واحدة، أي باعتبارهما شذرتين للغة أكبر منهما »<sup>(10)</sup>.

إن خط التوجيه في عملية الترجمة مشدود إلى السؤال: لماذا نترجم؟ ولمن نترجم؟ فهل غاية الترجمة هي بناء جسر يربط بين النص الأصلي وبين القارئ (المتلقي)، لأن هذا النص أنتج في لغة لا يفهمها هذا القارئ؟

يذهب بنيامين إلى أن الترجمة ليست تواسلا أو إعادة إنتاج النص في لغة ثانية، لأن العمل الأدبي ليس موجها إلى القارئ أو المتلقي، لأن « الاستناد إلى المتلقي، أمام عمل أو شكل فني، ليس مجديا أبدا في معرفة هذا العمل أو هذا الشكل الفني »<sup>(11)</sup>، ولما

كان ذلك كذلك، فإن الترجمة بدورها ليست موجهة إليه.

إن العمل الأدبي ليس تواصلية في جوهره. ولا يحمل أية رسالة، وبالتالي فإن أية ترجمة تريد أن تتواصل، فإنها لا تنقل سوى التواصل، وهو ما ليس جوهريا في العمل الأدبي، بل إن هذه إحدى العلامات الدالة على الترجمة الرديئة. فأهم شيء في العمل الأدبي هو ما لا نستطيع القبض عليه، إنه الشعري والغامض. وفي هذا المعنى يقول بنيامين « هل توضع الترجمة لقارئين لا يفهمون العمل الأصلي؟ هذا كاف، فيما يبدو لتفسير الفرق في المستوى بين الترجمة والعمل الأصلي، وهو أيضا، فيما يبدو، المبرر الوحيد للقول بأننا نعيد قول الشيء نفسه. ولكن ما الذي يقوله عمل أدبي؟ ما الذي يبلغه؟ إنه لا يبلغ إلا الشيء القليل بالنسبة إلى من يفهمه. فما يحتويه جوهريا ليس تواصل ولا رسالة. ومع ذلك، فإن أية ترجمة تبحث عن نقل شيء ما، لا تستطيع أن تنقل إلا التواصل، وبالتالي تنقل شيئا غير جوهري. وههنا إحدى العلامات التي تعرف بها الترجمة الرديئة. ولكن أليس الذي يحتويه العمل الأدبي . خارج التواصل . هو في الغالب ما لا يمكن المسك به من غموض وشعرية؟ وهو أمر يوافق على أهميته حتى المترجم الرديء نفسه » (12).

إن الجواب البديهي عن السؤال الوارد في بداية هذا النص، وكما يبدو طبيعيا هو: نعم. وإلا فما الحاجة إلى الترجمة إذا كنا نفهم الأصل؟ أما بالنسبة إلى بنيامين فالجواب: لا. لأن الترجمة تتأسس على فرضية التكافؤ بين لغتين، أي على افتراض التطابق بين النسخة المترجمة والعمل الأصلي. ولكن الكلمات التي تدل على الشيء نفسه في لغات مختلفة، تكون مشحونة بمفاهيم ثقافية

وتاريخية مختلفة، ومن ثم فليس بإمكان الترجمة أن تعيد إنتاج الأصل، بل تعمل فقط على التقريب بين الدلالات. ومن هنا، فإن الاختلاف بين لغتين أو بين كلمتين متكافئتين "هو" ما يراد قوله".

ونلمس هنا بوضوح المسحة الرومانسية التي تؤطر مفهوم بنيامين للترجمة. إن كل لغة . كما يؤكد التيار الرومانسي . تحمل "رؤية خاصة للعالم"، أي إنها تؤطر إدراكنا للعالم. فالاختلاف بين اللغات أعمق من أن يُحصر البنى الصوتية والتركيبية، حيث يصل إلى الصورة الداخلية للغة ذاتها، ولهذا فنحن لا نفكر باللغة فحسب، بل فكر بها أيضا.

ومعنى هذا أنه إذا لم تكن الترجمة تواصل في جوهرها، أعني أنها ليست استجابة لحاجة المتلقي من أجل فهم العمل الأصلي، فهي عمل من أجل استمرار الحياة في العمل الأدبي، وبالتالي فهي استجابة لحاجة العمل بأن يبقى حيا. ولهذا كثيرا ما يستعمل بنيامين مصطلحات "الحياة"، "البذرة"، "البقاء قيد الحياة"، "الإنجاب". فالترجمة تمنح العمل الأدبي حياة جديدة وتفتح له عالما جديدا. إنها تمديد للأثر الجمالي من لغة إلى أخرى، أو هي بمثابة تنمية البذرة. إنها تزيد العمل الأدبي ثراء.

إن من شأن الترجمة أن تعطي دلالات أكثر ثباتا مما كان في العمل الأصلي، أي إنها تجعلنا ندرك في العمل الأصلي شيئا من عدم الاستقرار لم نستطع إدراكه في البداية، ومن ثم فإن الترجمة تمنح للأصل ثباتا كان يفتقر إليه.

إننا لا نترجم واضعين نصب أعيننا الجمهور، هذا الجمهور الذي لا يقرأ الأصل. فمهمة المترجم أن يعيد بناء الشكل ويبحث عن القرابة الموجودة بين اللغات، أي تلك العلاقة الداخلية التي هي علاقة

1 – BERMAN Antoine, l'âge de la traduction : la tâche du traducteur de Walter BENJAMIN, un commentaire, éd. Intempestives, Presses universitaires de Vincennes, 2008, p. 32.

2 - DERROITE Elise, (Que) traduit-on ? Du rapport entre la créativité et la normativité dans la Tâche du traducteur de Walter Benjamin, in Klesis – Revue philosophique, Philosophie et littérature, n° 20, 2011, p. 62.

3 - BERMAN Antoine, l'âge de la traduction, op. cit. p. 35.

4 – ibid. p. 36.

5 – ibidem.

6 – ibid. p. 37.

7 - LADMIRAL Jean-René, traduire : théorèmes pour la traduction, éd. Gallimard, 1994, p. 96.

8 - THOUARD Denis, Goethe, Humboldt: poétique et herméneutique de la traduction, in : La force du langage, Rythme, Discours, Traduction, autour de l'œuvre d'Henri Meschonnic, s/d de Jean-Louis CHISS et Gérard DESSONS, éd. Honoré Champion éditeur, Paris, 2000, p. 197.

9 - Humboldt Wilhelm, sur le caractère national des langues et autres écrits sur le langage, trad. Denis THOUARD, éd. Seuil, Paris, 2000, p. 43

10 - BENJAMIN Walter, *La tâche du traducteur*, trad. de l'all. par M. de Gandillac, revue par R.Rochlitz, in

تساؤل بينها والتي تظهر عند احتكاك اللغات بعضها ببعض.

وينتقد بنيامين بحدة التوجه الذي يرى في الترجمة مجرد نقل من ثقافة إلى أخرى. فالتصور الذي تقوم عليه النظريات التقليدية هو أن اللغة والعمل الأدبي والترجمة يتم تحديدها باعتبارها تواصلاً، وهو تصور يرفضه بنيامين، فالعمل الأدبي بالنسبة إليه ليس موجهاً إلى أي شخص، وبالتالي فليس جوهره تواصلاً. وهو بهذا يرفض نظرية التلقي، تلك النظرية التي كانت لها نتائج وخيمة في مجال الترجمة. فبسم المتلقي مورست تشويهات خطيرة على معنى الترجمة وعلى العمل الأصلي نفسه.

إن مثل هذه الترجمة المنطلقة من إيديولوجيا التلقي تحول العمل الأدبي إلى رسالة، وليس من شأن الترجمة أن تكون تواصلاً يراد منه نقل رسالة أو معنى أو نص من لغة إلى أخرى، بل هي في جوهرها أن تشكل رابطاً بين اللغات.

ما نستنتجه من هذا، أن مهمة المترجم ليست خلق تواصل بين جماعات بشرية تتكلم لغات مختلفة، بل مهمته أن يساهم في إعطاء العمل الأدبي فرصة لأن يعيش مدة أطول. إن الترجمة بهذا المعنى نوع من التخليد للعمل الأدبي.

و نظرية بنيامين في الترجمة تكشف عن موقف من التنوع اللغوي الذي يؤول إلى مجرد اختلاف في المظهر، وهو بهذا يتبنى بصورة ضمنية الأطروحة القائلة بأن هناك لغة - أماً انحدرت منها جميع اللغات، وهي لغة آدم التي بقيت ترسباتها داخل التنوع اللغوي لتشكل ما سماه اللغة الصرف.

الهوامش:

11 – ibid. p. 244.

*Œuvres I*, Paris, Gallimard, 2000, p.p.  
256-257.

12–ibid.pp.244–245